

مجانس القراءَة البنيويّة والنص الروائي

د قرقوى بدرَة

كلية الآداب واللغات والفنون

جامعة جيلالي ليايس/سيدي بلعباس

البنيوية هي الطفرة التي تولدت عن رؤية دي سوسير للغة، وهي محكومة بالفعل الإجرائي في حدود أدواته وتقنياته، وإذا تحدثنا عن الأصل الإشتقاقي لكلمة بنية والذي بإمكانه أن يدلّ على المعنى الإصطلاحي، فإن أصل كلمة "بنية" مشتقة من الفعل "بنى" والاسم هو "بناء"، "البنيات"، "مبنى"، وقد وردت في القرآن الكريم عدة مرات، أما في النصوص العربية فقد وردت على أنها تركيباً وصياغة من خلال الإعراب وتقسيمهم للكلام "إلى مبني للمجهول"¹.

ومن هنا بدأ استعمال المصطلح وبدأ البحث والغوص في مدلولاته، ويقول حبيب مونسي: "لمعنى خاص ووحيد تستعمل البنية من أجل تعيين كلي ومكون من ظواهر متضامنة، بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقاً بالعناصر الأخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل"². وهذا ما يمكن أن نربط البنية كاصطلاح دال على طريقة معينة ترس بها مجموعة من المواد لإنشاء شكل متجانس ومتماسك يكمل

بعضه البعض، فكذلك النص الأدبي هو شكل متراس من الكلمات التي تكون من جمل فتراكيب فنص أدبي لا يمكن الفصل بين وحداته.

وقد ظهرت البنيوية كدراسة جديدة تتناول الأدب بمفهوم جديد، فتحاول عن طريقه إبعاد الأدب عن العلوم الإنسانية اعتماداً على خصائصها الشكلية فنعت أصحابها في بداية الأمر بالشكلانيين، قبل أن تشيع في أوروبا وأمريكا والعالم العربي، وتتطور إلى البنيوية التي «أعادت النظر في طبيعة ممارسة تحليل الأعمال الأدبية استناداً إلى معطيات علمية، وخاصة بعد التطور الكبير الذي عرفته الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة»³، والتي أحدثت طفرة في الدرس النقدي الذي يُسلط على الإبداع الأدبي، فكان لعلم اللغة السلطة الكاملة وقت تحدث المنهج النقدي مع النصوص الأدبية.

المنهج البنيوي:

وقد ذكر النقد البنيوي تعريفاً من طرف العديد من النقاد الغربيين الذين أخذوا المفهوم من فرديناند دي سوسير، فـ «يؤكد رولان بارط (1913- 1980) R. Barthes أن البنيوية – بمعناها الدقيق- لا تتخطى نقل النموذج اللغوي إلى حقول ثقافية أخرى، ومنها الأدب»⁴. وبذلك قد «نشأ تصور جديد للنص

الأدبي باعتباره بنية تامة الخلق، تضبط نفسها بما فيها من تحولات داخلية ضبطا ذاتيا يؤدي إلى الحفاظ عليها من أي مساس خارجي، بما أو بما فيها من دلالات نابغة من النسق وحده، وليس من أي تفسير آخر مصدره المؤلف، أو الظروف التي تحيط به، من زمان ومكان، وتبعا لذلك يركز النقد البنيوي على نقد النصوص نقدا داخليا - كالنقد الجديد الأمريكي- شموليا لا يكتفي بجزء أو بأجزاء من النص، ملحا على العلاقات الداخلية بين البنى الموضوعية التي يتألف منها، سواء أكانت علاقات ائتلاف واتفاق، أو اختلاف وافتراق»⁵.

النص الروائي:

وقد سلط الناقد محمد سويرتي هذا النقد البنيوي الذي يهتم بالبناء الداخلي للنصوص باعتبارها بنية لغوية لا نستطيع الفصل بين أجزائها فكلمة بنية « وفق بياجيه: نسق ما يتيح للنص أن يكون له قوانينه وقواعده، من حيث أن كل متماسك، وهذه القواعد تؤمن له انضباطه الذاتي»⁶، على النص الروائي كونه أهم أشكال السرد، « فإنها احتلت الصدارة في تلك الدراسات ولا تزال محل اهتمام النقاد لكونها تمثل ملحمة العصر الحديث وسجل المجتمع البشري، تطرح بطريقتها الفنية المتميزة القضايا التي شغلت الإنسان وتشغله، فكما استطاعت أن تعالج الإشكاليات الفكرية والاجتماعية والسياسية والنفسية، استطاعت أن تكون بمثابة سجل تاريخي لحياة

الإنسان، يجد فيها القارئ والباحث على السواء ما يبحث عنه»⁷، فهي بمثابة متنفس للمؤلف يخلق شخصيات ويُقرنها بأفكار وكذلك يحبك لها أحداثاً ويجد لها حلولاً، فهو يبت روحاً في تلك الشخصيات وكل ذلك ما هو إلا تعبير عنه وعن فكره وعصره، فهو يفتح للقارئ فضاءً واسعاً يحثه فيه على استعمال الخيال ورسم كل ملامح تلك الشخصيات وما تبعها من أحداث ليلوّن القارئ رواية المؤلف بالألوان التي يراها تلائمها فهذه هي حقيقة رواية إلزام بالإبحار في عمق بحر مليء بالخيال والحقيقة يمزج ألوانها المؤلف والقارئ.

المنهج البنيوي والنص الروائي:

لقد حظيت الرواية بالاهتمام الكبير من النقد، فلم يعد مع النقد البنيوي للرواية القراءات النقدية منزوية متخذة من المناهج البعيدة عن العلم مجالاً للبحث فيها، مثل المنهج الاجتماعي، وكذا النفسي والتاريخي.... و«إنما حظيت أساليب القص، وتقنيات السرد، وسائر أركان النص الروائي، بمزيد من التأمل (...) وتوزع ممارسو النقد الروائي بين تيار يهتم بنظرية الرواية، تيار آخر يهتم بالسرديات (Narratology)»⁸، وهذا الانقسام نتج عنه درسين كلاهما يهتم بالرواية فالأول يهتم بالرواية لوحدها أما الثاني الذي يهتم بالسرديات فمن ضمن مجالاته السرد الروائي، وبذلك فقد حظيت الرواية في ظل

المنهج البنيوي بدرس أخضع أبعادها الداخلية للتناغم والانسجام والاتساق كبنية تحقق نفسها فيما بينها.

وإن ذلك الانقسام في الدرس النقدي وعلاقته بالنص الروائي من الغربيين « فالبعض اهتم بمضمون الأفعال السردية ومنهم بريمون وغريماس، والبعض الآخر اهتم بالسردية اللسانية التي تهتم بالمظاهر اللغوية للخطاب وما ينطوي عليه من رواة وأساليب سردية ورؤى وعلاقات تربط الراوي بالمروي ومنهم تودوروف وجينيات (...) وقد انتقل تطور تناول النص السردى من ناقد إلى آخر ونلاحظ كيف انتقلت البنيوية من دراسة الحكاية الشعبية إلى دراسة الخطاب الروائي كعمل منفرد.

وبعد نضج النقد الجديد في محاولة للاكتمال تلقفه الناقد العربي وراح يخوض فيه متناولا نصوصا أدبية عربية للكشف عن بنائها الداخلي وعلاقة عناصرها ببعضها بعض مقلدا في ذلك نظيره الغربي أحيانا ومعدلا أحيانا أخرى، بسبب طبيعة النص الأدبي العربي المتميز في هذا الخضم يبقى الناقد العربي يتراوح بين هذا أو ذاك دون أن يستقر على قرار⁹. وهذا التراوح الذي سيطر على النقاد العرب ومحاولاتهم اقتفاء الأثر الغربي البنيوي وملاءمته مع النص الروائي العربي أخذ الحوار النقدي أبعاده عند الناقد محمد سويرتي.

إن كتاب محمد سوירتي كتاب نقدي موضوعه نقد النقد أو كما سماه سويرتي الكتابة النقدية الحوارية، « التي تقول القول وتتكلم الكلام وتؤسس ما اصطلحنا عليه بالحوار النقدي »¹⁰، وهي رغبة منه باكتشاف النقد البنيوي وكيف ربط النقاد العرب هذا المنهج بالنص الروائي، من خلال نماذج تحليلية انتقاها الناقد محمد سويرتي من الساحة النقدية العربية.

وقد حدد الناقد الهدف الأساسي من هذا الحوار النقدي حين قال: « إن هدف الحوار النقدي هو إلقاء الأضواء الكاشفة على المناهج الموظفة في نقد الأعمال الروائية وإدارة الحوار حول المفاهيم المستعملة والمصطلحات المستخدمة وكذا حول كيفية الاستعمال والاستخدام، كما أن هدف الحوار النقدي هو إبراز قيمتها التداولية بإرجاعها إلى أصولها التي صدرت عنها حتى تتحقق المقارنة حول كيفية التوظيف في النقد الغربي أولاً ثم في النقد العربي ثانياً، وحتى يستتب الحوار النقدي في اتجاه تغيير الرؤية النقدية العربية التي تجسمت في بنيات نقدية لها وجهات نظرها »¹¹، أي أن الناقد أراد من خلال حوارهِ عبر قناة المنهج البنيوي ليكشف مدى تجلّي هذه البنيوية في النقد العربي بمفاهيمها الغربية وانتقالها إلى المفاهيم العربية، ولقد اتخذ كذلك متوناً هي كالتالي:

1) سمر روجي الفيصل « ملامح في الرواية السورية »، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979.

- (2) خالدة سعيد « حركية الإبداع - دراسة في الأدب العربي الحديث»، دار العودة، بيروت، 1979.
- (3) موريس أبو ناضر « الألسنية والنقد الأدبي - في النظرية والممارسة»، دار النهار للنشر، بيروت، 1979.
- (4) نبيلة إبراهيم سالم «نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة»، النادي الأدبي، الرياض، 1980.
- (5) يمنى العيد « في معرفة النص»، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.
- (6) سيزا أحمد قاسم « بناء الرواية - دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ»، النهضة المصرية للكتاب، 1984.
- (7) سعيد يقطين « القراءة والتجربة - حول "التجريب" في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب»، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.

ثم بعدها بين الناقد أسباب اختيار هذه المتون دوناً عن غيرها التي ترجع قائلًا: « إن الأسباب الأساسية التي قادتنا إلى اختيار هذا المتن بالضبط والاشتغال عليه ترجع بالأساس في معظمها إلى كونه يشكل بحق المعالم البارزة في مسار النقد العربي المعاصر، كما أن هناك سببا آخر هو رغبتنا في الاعتراف مسبقا باستفادتنا الكبيرة من هذه الأعمال النقدية التي تعتبر بحق من أجود ما أنتجه النقد العربي المعاصر في محاولته الإجابة الجادة على أسئلة الحداثة، هذا وبدل المتن المختار على المستوى الذي

بلغته الحركة النقدية العربية من حيث النضج والغنى اللذان يمثلان في ثراء المادة وجودتها وتنوع العناصر وتبيان تحليلاتها النقدية. وزيادة على ذلك، تقدم هذه النماذج التحليلية من النقد العربي صورة واضحة على التطور الذي حققه النقد الأدبي العربي في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينات من هذا القرن. وفضلاً عن ذلك، فإنها تعبر بجلاء عن التحول الجذري الذي حققه النقد الأدبي العربي من الرؤية الشخصية النسبية إلى الرؤية الموضوعية المتقدمة في معرفة النص الروائي وتحليله»^{1 2}.

نلاحظ من خلال الاختيار الذي أورده محمد سويرتي للمتون المعتمدة في هذه الدراسة، والتي تجسد التحليل النقدي الروائي المعاصر، أنه اعتمدها لأسباب جزم هو فيها كالتالي:

(1) إن هذه المتون من المتون البارزة في مسار النقد العربي بصفة عامة لا في النقد الروائي فقط، أي أن النقاد الذين عالجهم هو من خلال متونهم مختصين في النقد وعارفين بقضايا ونظرياته وليس فقط فيما يخص النقد السردي.

(2) أن المادة النقدية في هذه المتون غاية في النضج، أي نسبة الإخفاق ضئيلة ولما تعنيه كلمة نضج من دلالة اكتمال الشيء، فالسويرتي يجزم سلفاً وقبل الدراسة أن المادة العلمية النقدية وصلت قممها في الدراسات التي اتخذها هو نماذج لدراسته ويعبر عن ذلك النضج بـ: « ثراء المادة وجودتها وتنوع عناصرها وتباين تحليلاتها النقدية ».

وأضاف سويرتي سبباً أخيراً هي أنها خير مثال عن النقلة المختلفة التي حققها النقد العربي مسيراً في ذلك النقد الغربي، منتقلاً من الرؤية الشخصية والمبنية على نظرة خاصة لها مؤثرات اجتماعية وسياسية وفكرية، وكذا إيديولوجية إلى الرؤية الموضوعية والمقصود بها النقد المبني على علم اللغة أو علم اللسانيات وذلك في تفحص النص الروائي.

كذلك هذه المتون تكشف مسيرة النقد العربي للنقد الغربي.

ثم أشار السويرتي إلى العُدة التي وجب على ممارس نقد النقد التزود بها ألا وهي: «التجربة الحدسية المنبثقة من التراكم المعرفي، كما يعتمد التجربة الحسية التي صقلت التجربة الحدسية وهذه التجربة التي تجد حقيقتها في المعرفة».

– التجربة الحدسية: وهي تجربة الناقد التي يستطيع من خلالها دراسة الأعمال النقدية والحكم عليها، وهذا التمكن ينجم عن قدرة الناقد المعرفية وخبرته التي تمنحه حدساً نقدياً برأي محمد سويرتي.

– التجربة الحسية: وهي كيف للذات الناقدة أن تتحكم في دوافعها الخاصة وتلتزم بالموضوعية التي اكتسبتها بتوجيه التجربة الحدسية لها.

ثم يوضح سويرتي الهدف الذي يريده من خلال حوارهِ النقدي، وذلك بفهم الجسر الذي يربط بين المنهج البنيوي

والنص الروائي ولتحقيق هذا الحوار النقدي، و«نظراً لتعدد البنيات وتنوعها وتباين طرائق استخدامها للمنهج الواحد، ونظراً لتمايز الأعمال الروائية المنقودة وكثرة الإشكاليات التي تطرحها البنية الواحدة، وجد الحوار النقدي نفسه أمام بنويات اقتضت منه وضع خطوات منهجية ليسير عليها في ممارسة الحوار النقدي وتبدو هذه الخطوات على النحو التالي:

- (1) قراءة النص الروائي والنص النقدي.
- (2) تصنيف البنيات النقدية وفق محاور تطرح إشكاليات حول النقد الروائي.
- (3) استنباط المنهج المعتمد من طرف الناقد من خلال تصريحاته وتحليلاته فضلاً عن المفاهيم الإجرائية قصد التمازج في شأن هذا المنهج ومصطلحاته والكيفية التي مورس بها في تحليل النص الروائي.
- (4) تقديم الإضافات الضرورية.
- (5) تخصيص كل محور في تركيب مكثف وتسجيل الاستنتاجات الخاصة به ثم تكثيف كل الاستنتاجات الخاصة بكل المحاور. والسؤال الذي يفرض نفسه هو ما هي الحقيقة التي تشكل أفق انتظار الحوار النقدي في هذا البحث؟»^{1 3}.

وهذه هي الخطوات التي ستسير عليها هذه الدراسة وستوخاها الناقد محمد سويرتي من خلال حوار النقدي مع

النماذج النقدية التي تناولت النص الروائي واتخذت من المنهج البنيوي نظرية يتفحص بها هذه النصوص النقدية، وستتبع من خلال فصول الناقد سيره وفق هذه الخطوات المنتهجة، وقد بين أن سيره وفق هذه الخطوات يريد منه: « الحقيقة التي يتوق إليها الحوار النقدي من هذا البحث هي حقيقة المنهج البنيوي في علاقته بالنص الروائي وموقف هذا المنهج من المناهج الأخرى وكذا الكيفية التي مارسه بها النقاد العرب على العمل الروائي، ولمقاربة هذه الحقيقة سيتمحور الحوار النقدي حول البنيات الداخلية للرواية»^{4 1}. إذ أن مهمة سويرتي أن يكشف مدى توفيق النقاد في دراساتهم بين المنهج البنيوي والنص الروائي، حيث سيتتبع البنيات الداخلية للرواية وكيف استطاع المؤلفين في المتون السابقة تناول المنهج البنيوي كمنهج نقدي يتناول النص الروائي.

وللإجابة على التساؤلات السابقة التي طرحها سويرتي - قدم فهرسة كتابه بالشكل التالي:

تقديم: وهو الجزء المدروس سابقاً وقد تناول فيه "الإشكالية ومنهج الطرح"،

ثم القسم الأول: قسم إلى فصلين:

الفصل الأول: حول "التنظيرات، واقع وآفاق في الأعمال النقدية الآتية":

ثم الفصل الثاني: " من ثنائية الشكل والمضمون إلى وحدة البنية .

والفصلين السابقين من القسم الأول قد تناول فصلين من خلال فهرستهما، نلاحظ أنه في القسم الأول قد درس التنظير العربي للبنىوية فليس واقعه وتطلعاً إلى آفاق جديدة ومدى نجاعة المنهج في الدرس العربي التنظيري، وفي الفصل الثاني قد بين كيف اتخذ المنهج البنيوي في المتون السابقة تأسيساً من خلال النقلة التي رصدها الأعمال السابقة في الانتقال من ثنائية الشكل والمضمون إلى وحدة البنية في الأعمال النقدية التي ذكرها.

ثم القسم الثاني: الذي تحدث فيه عن "المحكي بوصفه قصة" وقسمه إلى:

الفصل الأول: "الشخصيات - مفهوم الشخصية الروائية .

الفصل الثاني: منطق الأفعال - الشخصيات باعتبارها فواعل من وجهة نظر نحوية

الفصل الثالث: حول "سيمائية فليب هامون حول الشخصية الروائية".

أما الفصل الرابع: فعن "منهج الثنائيات كما عرف عند كلود ليفي - شتراوس وتطبيقاته .

أما الفصل السادس: فدرس فيه "ثنائية البنية المفتوحة والبنية المغلقة .

وخاتمة ضمنها النتائج المتوصل إليها.

وما نلاحظه عن سويرتي استخدامه لمصطلح "الحوار النقدي" بدلاً من "نقد النقد"، وقد يرجع ذلك إلى كون نقد النقد لم يتخذ بعد أسساً لنظريته وذلك بتأرجح المناهج فيه وعدم تباينها وملاءمتها كل النصوص النقدية، فأثر السويرتي استخدام الحوار النقدي كبديل لنقد النقد إذ أنه لم يصف العملية كونها عملية نقدية بل بأنها حوار والحوار قد تتنوع وتتلون في الإجابات والأسئلة كما تتنوع النصوص النقدية بتنظيراتها ومناهجها العديدة التي قد تستلزم تنوعاً في المناهج الدارس لها كحوار نقدي.

بعض النقاد الذين درسوا نفس المتون الذي درسهم محمد سويرتي:

– إن القول السابق الذي تحدث فيه الأستاذ "الشريف حبيلة" في كتابه "بنية الخطاب الروائي" فقد اقتفى أثر النقاد الذين اتخذهم سويرتي كمتون، فقال الشريف حبيلة: «وسنعرض بعض النقاد العرب الذين برزوا في تناول النص

الروائي مستخدمين المنهج البنيوي أمثال يمى العيد، وسيزا قاسم، وسعيد يقطين، وعبد الملك مرتاض»¹⁵.

– كذلك الدكتور "إبراهيم خليل" في كتابه "بنية النص الروائي".

– والناقد "حميد حميداني" في كتابه "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي" لما بين عناوين نفس المتون التي درسها سويرتي فقد درس حميد حميداني المؤلفات التالية: « الجانب النظري: 1- كتاب الألسنية والنقد الأدبي، 2- كتاب نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، 3- كتاب القراءة والتجربة، 4- كتاب بناء الرواية»¹⁶، وهي للمؤلفين: 1- مورييس أبو ناضر، 2- نبيلة إبراهيم سالم، 3- سعيد يقطين، 4- سيزا أحمد قاسم. كما اتخذ كتاب سيزا أحمد قاسم نموذجاً لدراسة التطبيقية.

ثم يورد الناقد محمد سويرتي جملة الاعترافات على اتخاذ النقاد المنهج البنيوي لدراسة الجنس الروائي، فتحدث أولاً عن سمر روي الفصيل قد طغت على دراسته مناهج لم ينظر لها في مدونته على حساب المنهج البنيوي « بحيث يغدو هذا المنهج عبارة شذرات مبثوثة في ثنايا مؤلفه الضخم والمناهج الطاغية في الكتب هي المنهج الاجتماعي الانعكاسي، والمنهج التفسيري، والمنهج التأويلي والفلسفي والمنهج الانطباعي. يرجع السبب في

ذلك إلى عدم اقتناع الناقد العربي بالمنهج البنيوي، الذي يعتبر امتداداً مباشراً للجمالية والشكلانية وأساساً من أسس الشعرية وتحولاً جذرياً - لطابعه الوضعي - في الرؤية النقدية المعاصرة، هذا هو الباعث الأساسي الذي حمل سمر روعي الفیصل على ضم مناهج متنافرة في بوتقة واحدة بغية تحقيق ما يعرف في النقد السائد إذاك بتكاملية المناهج»^{7 1}، لأن الخوض في معركة التنظير يستوجب التشبع بالمفاهيم المنهجية لهذه النظرية أما الناقد العربي في مرحلة الحداثة، فقد جلب معه معرفته السابقة وحاول أن يزاوجها بالنقد البنيوي الذي كان وليد هذه المرحلة. وهذا يدل أنه لم يتشبع بعد - في هذه الفترة - بالمنهج البنيوي ومفاهيمه، وقد مارس سمر روعي بعض المفاهيم التي استوعبها في المنهج البنيوي فقط، فاعترفه بالناقد بدراسة النص الروائي يعبر قناة البنيوية ما هو إلا اعتراف مثل باقي الاعترافات التي كثيراً ما نجد لها متناثرة في مقدمات الكتب.

ثم ينتقل الناقد محمد سويرتي إلى خالدة سعيد ويتساءل: «هل يختلف الأمر عند خالدة سعيد؟» ثم عرض محمد سويرتي قولها: «القارئ عامة - وسيما الأكاديمي - ما يزال يقرأ النصوص الشعرية على غرار القراءة العباسية في أحسن الأحوال، أي قراءة لغوية تاريخية تهتم باللغة اهتماماً نحويًا معجميًا (لا اهتماماً بنيويًا دلاليًا) كما تهتم بالمناسبة والموضوع

والبراعة في عرضه وتنميته وتغيب عن هذا القارئ أوليات في التعامل مع الشعر والأثر الفني عامة، منها مثلاً أن كل نص في يقدم مستويين: مستوى إخباري مباشر، ومستوى إشاري غير مباشر هو ما تزرخ به اللغة الشعرية فيما وراء المؤدي المباشر، ويكون نظام العلاقات الدلالية الإيقاعية في النص، وطبيعي أن الأسبقية في الشر العادي الوظيفي هي للمستوى المباشر أو الإخباري بينما تكون الأسبقية في النص الشعري للمستوى الثاني»¹⁸. ثم حل محمد سويرتي هذا القول مدلاً على ما استعان به في تحليله بأدوات المنهج البنيوي والنظرية البنيوية يلخص إلى أن « عدم تمايز خالدة سعيد على سمر روي الفيصل في تمسكها بمنهج "التأويل العام".

ومع ذلك يمكن اعتبار رؤية خالدة سعيد نقلة نوعية تساهم في تحديث الخطاب النقدي العربي المستفيد من المنهج الألسني»¹⁹ فدراساتها ذات مساهمة فعالة في التنظير النقدي العربي الذي يتخذ من المنهج الألسني مسلكاً للدراسة النقدية.

ثم انتقل إلى "نبيلة إبراهيم سالم" الذي رأى سويرتي أنها تمارس « نقدها للنص الروائي من وجهة نظر علم اللغة الحديث لقولها: ولكن بعد أن تطورت الدراسات اللغوية، دخلت مراحل علمية جديدة من التقنين على يد عمالقتها من أمثال "دي سوسير" و"تشومسكي" و"جاكسون"، فقد أثير التساؤل بشدة حول ما إذا كانت الطريقة النقدية التقليدية ناجحة، أو على الأقل كافية لدراسة الأنماط القصصية»، إن قول نبيلة إبراهيم

سالم في مقدمة كتابها عن المنهج البنيوي ومدى جدارته في
تقصي الأثر الروائي قد أتبعته بأقوال للعديد من المنظرين
الغربيين في هذا المجال فقد ذكرت كلود ليفي-شترأوس،
وجاكسون، وإضافة تفاسير لهذه الأقوال وإحاطتها بالنقد
العربي كمحاولة للتنظير وكل هذا يدل تشبعها بالمنهج الألسني،
إذ يقول سويرتي عنها: « وكيفما كانت وجهة نظرها في هذه
القضية، فإنها قد استفادت - ولا شك- من الألسنية
والأسلوبية والشكلانية الروسية في تحليلها للحكاية الشعبية
والرواية. ومن ثم، نستخلص أن الناقدة قد أدركت العلاقات
بين الألسنية والنقد الأدبي علاقة تكامل وتفاعل»²⁰. فهي
تمثل بداية الوعي بعلم اللغة وفهم اللسانيات والمنهج البنيوي
الذي خرج من رحمها، والنقد الجديد الذي أدرك مدى فعالية
علم اللغة في تحديد النقد واكتشاف جماليات النص في بنيته
الداخلية التي تشكلها كل بنية مع علاقتها مع البنى الأخرى.

وبعدها ينتقل سويرتي إلى "موريس أبو ناضر" الذي
«سيمارس منهجه النقدي على نصوص قصصية روائية عربية،
وبأنه سيحللها من الداخل انطلاقاً منها باعتبارها بنيات قائمة
بذاتها وحسب مستويات مترابطة، كما يعترف بأنه سيمارس
نقده وفق المنهج الألسني بوصفه تطويراً لبعض المناهج النقدية
الجمالية والشكلية القديمة، وبصفته تجاوزاً لبعض المناهج
الأخرى التي تتناول غرض أو موضوع النص ولا تقف عند

شكل بنيته لقول الناقد" ذهب دعاة الأدب من الداخل إلى أن المناهج القديمة أصبحت بالية، ولا بد من إعادة النظر فيها على ضوء العلوم الحديثة، وخاصة علم اللغة العام، أو كما نسميه اليوم الألسنية (linguistique)»^{1 2}، ثم يؤكد محمد سويرتي قائلاً: « ومن هنا يظهر لنا أنه إذا كانت نبيلة إبراهيم سالم قد تعهدت باستخدام التصنيفية البروية والغريماصية والجاكوبسونية، فإن موريس أبو ناضر يستعمل التصنيفية الغريماصية كما يتضح ذلك من استخدامه مصطلح "الوظيفة" أو "الأعمال" وسيقدم الناقد العربي نماذج من دراسة السرد والدلالة»^{2 2}، وهذا التأكيد تحدث عنه سويرتي بعدما تفحص الممارسة النقدية في كتابة لأن التصريح بمنهج ما لا يعني بالضرورة تطبيق هذا المنهج.

أما عن الناقدة "سيزا أحمد قاسم"، يقول سويرتي: « تؤكد الناقدة على أنها ستركز في الممارسة على المنهج الذي يدرس النص من الداخل وهو المنهج الذي نادى به الناقدان و.ويلك وأ.وارين (R. Wellek et A. Warren) في كتابهما المشهور "نظرية الأدب"، وعلى منهج الشكلايين الروس وكذا المنهج البنيوي كما عرف عند جيرار جينيت الذي يسمح بأن يضاف إلى المنهج البنيوي المنهج التفسيري والمنهج التاريخي الذي يعني بعقد الصلة بين النقد الأدبي وتاريخ الأدب. هذا، وتضيف

الناقدة بأنها ستعتمد منهج الناقد الروسي البنيوي بوريس أوسبنسكي (Boris Uspenski) في قولها: في ضوء التزامنا بالدراسات النقدية التطبيقية كان لا بد من أن نستند إلى المنهج البنائي، حيث أن السمات نريد أن نرصدها بين الأعمال موضوع الدراسة هي سمات تتعلق بالشكل والبناء، أما المنهج الذي يسميه ويليك المنهج الداني فيتعامل مع النصوص الأدبية تعاملًا مباشرًا على أنها وحدة متكاملة مستقلة عن كاتبها، لها كيانها ولغتها ونوعيتها الخاصة.

وقد اعتمدنا في بحثنا في المرتبة الأولى على أعمال الناقد الفرنسي جيرار جنيت، حيث أن جنيت رغم انتمائه إلى مدرسة النقد البنائي الفرنسية وتأكيده على ضرورة الالتزام بهذا المنهج، يعتد رف بضرورة أخذ المناهج الأخرى في الاعتبار مثل المنهج التفسيري (herméneutique) والمنهج التاريخي (علاقة النقد بالتاريخ الأدبي).

وقد لجأ أيضا إلى بعض كتابات النقاد الروس البنائيين وأهمها كتابات الناقد عالم اللغويات بوريس أوسبنسكي²³. ويجزم سويرتي « أن الناقدة العربية تأمل أن ترصد - في ممارستها النقدية - كيان العمل الأدبي ونوعيته ولغته انطلاقًا من بنية شكله باعتباره وحدة متكاملة ومستقلة عن مؤلفها²⁴ وهذا من أساسيات المنهج البنيوي الذي اهتم ببناء النص بعيداً عن محيطه وظروفه.

ثم ينتقل سويرتي إلى سعيد يقطين الذي يكمن هاجسه « في دراسة مكونات الرواية اعتمادا على ما تقدمه دراسة السرد من مصطلحات نقدية ومفاهيم إجرائية يسعى الشعريون (poéticiens) إلى تطويرها لقوله: تروم هذه القراءة أن تكون جديدة على مستويين:

1- البحث في مكونات الخطاب الروائي البنيوي.

2- استعمال أدوات ومفاهيم جديدة تمنح بالأخص من السرديات (narratologie) التي يعمل الباحثون في "البويطيقا" على بلورتها وتدقيقها لتصبح اتجاهات متميزة في تحليل الخطاب السردى بصفة عامة، تتلخص طريقة تعاطينا وهذه الخطابات في الانطلاق من مبدأ محوري يضبط مختلف مكونات الخطاب ويحكمها، وعلى هذا المبدأ وانطلاقا منه نشرع في تحليل وقراءة باقي العناصر²⁵، حيث بين المستويين الذين اتخذها سعيد يقطين في دراسته واستناده للمنهج البنيوي ومفاهيم السرديات وذلك يحدد المفاهيم ويبين المنهج الذي سار وفق البناء السردى.

ثم يبحث في نفس المجال سيورتي عند إجابته عن النقد البنيوي وخوضه في معركة الكشف عن خبايا النص الروائي مع الناقدين التونسيين "سمير المرزوقي" و"جميل شاكر" إذ «يصرح الناقدان العربيان أنهما يتوسلان بدورهما بالمنهج البنيوي في علاقته بالدلالية والسيمائية لدراسة الأعمال الأدبية لقولهما: أما نظرية القصة narratologie وهي المنهجية التي يقدمها هذا

الكتاب، فهي تعمل على دراسة النصوص الحكائية قصد استنباط مجموع الأجهزة الشكلانية التي تمثل النواة المولدة لمختلف أشكال الخطاب القصصية ويعني هذا أنها منهجية هيكلية (structurale) لها أكثر من علاقة بمشكلة المعنى أي بالدلالية sémantique والعلامية sémiotique وتدخل في نطاق هذه المنهجية مؤلفات بروب Propp وغريماس وجنيت وبريمون مثلاً²⁶، وما هذه الأسماء إلا اعتناق للمنهج البنيوي وببحث في هياكل النص الروائي.

أما عن "يمنى العيد" الناقدة التي تفحصت المنهج البنيوي وعرفته حين أورد سويرتي قولها: « البنيوية تفسر الحدث على مستوى البنية، فالحدث هو كذلك بحكم وجوده في البنية، أي في نسق من العلاقات ذات النظام المستمر والمستمرة به البنية، قيام الحدث على هذا المستوى له استقلالته وهو في قيامه محكوم بعقلانية هي عقلانيته التي هي عقلانية مستقلة عن وعي الإنسان وإرادته، إنها الآلية (mécanisme) الداخلية للبنية²⁷ » وإرادة الإنسان ووعيه مثلتها يمى العيد في المجتمع والذي تنتمي إليه بنية النص إذ لاحظ سويرتي أنه « ورغم التقريض الذي حظي به المنهج البنيوي من لدن الناقدة العربية، فسرعان ما تحول لديها إلى تعريض في قولها: النص أو النصوص الأدبية التي يمكننا أن ننظر في استقلالها، كبنية، هي من حيث وجودها في المجتمع، عنصر في بنية هذا المجتمع، وإذا كان المنهج البنيوي لا يمكنه أن ينظر، بحكم

عامل الغزل، إلى هذه الازدواجية أي كونه بنية وفي الوقت نفسه عنصرا في بنية، فإنه، أي المنهج البنيوي، يتحدد كمنهج يقتصر على دراسة العنصر، كمنهج غير قادر على إقامة الجدل بين الداخل و"الخارج" أو بتعبير جدلي، على رؤية "الخارج" في هذا الداخل²⁸.

إن هذه النظرة التي تطرح مفهوم ما بعد البنيوية تتبعها سويرتي بكل خطواتها في جزئية سماها: شعرية البنية « فنية وواقعية البنية ارتداد أم تجاوز؟ » وهو سؤال يهدف لتأسيس الناقدة يميني العيد ليستتج سويرتي « مما سبق ذكره أن يميني العيد قد ارتدت عن البنيوية أو عن شعرية النص كما عرفت عند جنيت وتودوروف إلى شعرية القول كما عرفت عند باختين والتي ما فتئت تتحرك في إطار الشكلائية رغم محاولة "باختين" تجاوزها بأطروحة "الإيديولوجيا" وعلى هذا الأساس ألا يعتبر موقف يميني العيد من البنيوية هو موقف "باختين" من الشكلائية؟ »²⁹

و بذلك تكون البنيوية ذلك « النقد الألسني الحديث وهو مدارس تركز على النص وتنطلق منه مثلما تتجه إليه، وتأسست منها نظرية النصوصية والشاعرية حيث صار علم الأدب علما للنصوص (لا للمضامين)، وصارت القراءة الأدبية فعالية نقدية متطورة تسعى إلى تأسيس لغة العمل المقروء وتشخيصها بناء عن مفهومات (الشاعرية البنيوية) وذلك إلا مشروع طموح لا ابتكار لغة

اللغة، وهو قمة العطاء الأدبي الجمالي»³⁰. وإن هذه القمة لطموح للناقد العربي، يستحب فيها الولوج لعالم التنظير والبحث في أغواره عن إجابات للنصوص العربية، وقد كشف سويرتي في هذا الفصل رغبة الناقد العربي وسعيه وراء النقد البنيوي لوجود إجابات عن أسئلته الملحة، فمنهم من اتخذ مجرّد واجهة لكتابه وغلب عليه مناهج ضربت جذورها في النقد المنهجي والإيديولوجي، ومنهم من أثر المفاهيم النقدية البنيوية الخالصة وعمل بها وعياً منه بها، ورغبة في محاذاة النقد الغربي وكذلك من نهل منها مبادئ معينة وأهمّل أخرى ومن التقاد العرب من أراد أن يؤسس لنظرية نقدية تتجاوز البنيوية، وتطرح بديلاً عنها وذلك كله نابع من منابع الغرب ونظرياتهم الغربية.

وبذلك يكون سويرتي قد حقق غايته من حوار النقد مع من وصفهم أجود الأعمال النقدية، والتي استفزته وأثارت فيه عدة أسئلة أراد الكشف عن أجوبة لها من خلال حوار الذي جمع فيه بين المنهج البنيوي والنص الروائي، ومدى نجاعة الناقد العربي في الجمع بين المنهج البنيوي النقدي الغربي والنص الروائي الإبداعي العربي.

الهوامش

¹ - صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الأفاق الجديدة، ط1، بيروت، ص175.

² - حبيب مونسي، البنيوية في النقد العربي الحديث-قراءة في المنهج والإجراء، المكتبة الجامعية، 2001-2002، ص8.

- ³ - حمدي حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 95.
- ⁴ - إبراهيم خليل، واقع الدراسات النقدية العربية في مائة عام، مطبعة الجامعة الأردنية، 2012، ص 104.
- ⁵ - إبراهيم خليل، واقع الدراسات النقدية العربية في مائة عام، ص 104.
- ⁶ - المرجع نفسه، ص 105.
- ⁷ - الشريف حيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010، ص 01.
- ⁸ - إبراهيم خليل، بنية النص الروائي (دراسة)، منشورات الاختلاف - الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص 10.
- ⁹ - الشريف حيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، ص 10.
- ¹⁰ - محمد السويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي (مناهج تحليلية من النقد العربي 1 المنهج البنيوي - البنية - الشخصية)، إفريقيا الشرق، 1991، ص 07.
- ¹¹ - محمد سويرتي، محمد السويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي (مناهج تحليلية من النقد العربي 1 المنهج البنيوي - البنية - الشخصية)، ص 08.
- ¹² - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي (مناهج تحليلية من النقد العربي 1 المنهج البنيوي - البنية - الشخصية)، ص 10.
- ¹³ - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي (مناهج تحليلية من النقد العربي 1 المنهج البنيوي - البنية - الشخصية)، ص 10.
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص 11.
- ¹⁵ - الشريف حيلة، بنية الخطاب الروائي، ص 10.
- ¹⁶ - حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 159.
- ¹⁷ - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، ص ص 22 - 23.

-
- 18 - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، ص 24.
- 19 - المرجع نفسه، ص 28.
- 20 - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، ص 31.
- 21 - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، ص 31.
- 22 - المرجع نفسه، ص 32.
- 23 - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، ص 32.
- 24 - المرجع نفسه، ص 32.
- 25 - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، ص 33.
- 26 - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، ص 33.
- 27 - المرجع نفسه، ص 34.
- 28 - محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، ص 35.
- 29 - المرجع نفسه، ص 47.
- 30 - عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريفية نظرية وتطبيق،
المركز الثقافي العربي، ط6، الدار البيضاء، المغرب، ص 206.

